

الدرس السابع: التغير الدلالي (أسبابه)

تمهيد: لقد دأب الإنسان على تسمية كل ما احتاج إلى الإبانة عنه، فجعل لكل مسمى اسماً. إلا أن متأمل اللغة عبر عصورها المختلفة يلاحظ أن العلاقة بين الأسماء والمسميات لم تبق ثابتة؛ إذ يجد أحياناً أن الاسم قد صار يعبر عن مسمى جديد؛ أي أن اللفظ قد تغيرت دلالاته، كما يجد أن المسمى الواحد قد تعددت أسماؤه. فما سبب هذا التغير الذي طرأ؟ أو بصيغة أخرى ما سبب التغير الدلالي؟

قبل الحديث عن أسباب التغير الدلالي نشير باختصار إلى أسبابه. والتي تتمثل في أسباب داخلية؛ لغوية، وأخرى خارجية؛ غير لغوية.

1- الأسباب الداخلية: وتتمثل في التصريف؛ إذ قد يحدث أن تتوافق كلمتان مختلفتا الأصل والدلالة في صيغة صرفية واحدة. مثال ذلك (ظهور) مصدر (ظهِرَ)، و(ظهور) جمع (ظَهَرَ). (سائل) من (سأل) و(سائل) من (سال).

والإبدال؛ إذ يحدث أن يبدل صوت محل آخر من كلمتين متقاربتين الأصوات مختلفتي الدلالة فتصيران بالإبدال كلمة واحدة بداليتين مختلفتين. مثال ذلك (الأسيف) وهو سريع الحزن والبكاء. أبدلت همزتها عينا فاتفقت و (العسيف) وهو الأجير. فصار للعسيف دلالتان؛ الأصلية وهي: الأجير، والناجئة عن الإبدال وهي: سريع الحزن والبكاء.

زيادة عن التغير المجازي بأن يكون للفظ دلالة حقيقية ثم يكتسب أخرى مجازية. كالرقبة لرقبة الإنسان حقيقة، وللعبد مجازاً.

2- الأسباب الخارجية: وتتمثل في الحاجة للتعبير عن المستجدات المادية والمعرفية، كالهاتف للمنادي في دلالاته الأصلية والهاتف وسيلة الاتصال الحديثة، والعروض بدلالاتها المعجمية المعروفة، ودلالاتها الاصطلاحية في علم العروض.

ويشمل ذلك أيضا الحاجة للتعبير عن العقيدة الجديدة كما الشأن مع دين الإسلام؛ الذي أحدث ثورة عقيدية، تبعتها أخرى لغوية؛ إذ تغيرت دلالات كلمات كثيرة؛ كالصلاة، والزكاة، والصوم... وغيرها.

من الأسباب الخارجية تعدد اللهجات؛ بأن تسمى قبيلة من القبائل العربية المسمى باسم تطلقه قبيلة أخرى على مسمى آخر. وبالاحتكاك بين القبيلتين يصير للفظ الواحد دلالتان. مثال ذلك: (الهجرس) عند الحجازيين القرد، وعند التميميين الثعلب.

من بين الأسباب الخارجية أيضا التلطف في التعبير، والتأدب كأن يقال للأعمى بصير. والبصير الذي يرى وبالتالي يصير له دلالتان؛ الذي يرى والذي لا يرى.

من ذلك أيضا التفاؤل كأن يقال للملدوغ - الذي لدغته أفعى - سليم تفاؤلا بالسلامة، فيصير للملدوغ دلالتان.

هذه أهم أسباب التغير الدلالي، إضافة إلى أخرى يضيق المقام عن تناولها.